

الامامة والسياسة

[36] الفريقين جميعا ، ثم إن ابن الاشعث لما حشد العسكر والحجاج بالبصرة . عسكر على مسير ثلاثة أميال من البصرة على نهر يقال له نهر ابن عمر ، فكتب ابن الاشعث يسأله أن يتنحى عنهم لما كرهوا ولايته ، حتى يستعمل عليهم أمير المؤمنين غيره ، من هو أحب إليهم منه . فلما انتهى إليه رسوله قال الحجاج : أدخلوه ، فلما دخل سلم عليه بالامارة ، قال : من أنت ؟ قال : رجل من خزاعة . قال : من أهل البصرة أنت ، أم من أهل الكوفة ؟ قال : لا ، بل من أهل سجستان . قال : هل تأخذ لامير المؤمنين ديوانا ؟ قال : لا ، قال : أفمن وزراء ابن الاشعث أنت علينا في هذه الفتنة يا أخا خزاعة ؟ قال ، وإني ما هويتها ، ولقد جلبني إليك مكرها ، قال : فكيف تسليمك على صاحبك إذا انصرفت إليه ؟ قال : بالامرة ، قال : فهل ترى في ذلك أنك صادق ؟ قال : إني أعلم بأي الامرين هو في نفسك أعلى الصواب أم على الخطأ ؟ قال : إني أعلم أي الامرين في نفسي . قال : أما إنك يا أخا خزاعة قد رددت الامر إليه وهو تعالى أعلم ، انطلق إلى صاحبك بكتابك كما جئت به ، وأعلمه بالذي كان من ردنا عليك ، فإنه جوابه عندنا ، ونحن مناجزوه القتال ، ومحاكموه إلى إني من يوم الاربعاء إن شاء الله ، فليعد وليستعد لذلك ، فإن إني مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وذلك يوم الاحد . قال : فلما انصرف رسوله إليه ناوله الكتاب ، فلما رآه بخاتمه ، أي مثل ما بعثه كف ، فلم يسأله أمام من حضر ، حتى ارتفع الناس ، ثم دعاه فأخبره الخبر . قال : وما وراء ظهرك إلا هذا ؟ قال له : في دون ما جئتك به ما يكفيك ، فقد رأيت أمرا صعبا ليس وراء إلا المناجزة . ثم إن الحجاج هتف هتفة أن اجتمعوا للعطية ، ففرق العطية في ثلاثة مواضع ، وكان قواده يومئذ ثلاثة : سفيان بن الابرص الكلبي على ميمنته ، وسعيد بن عمرو الجرشي على القلب ، وعبد الرحمن بن عبد الله العكي على ميسرته ، فأعطى الناس على هذا وأقام في معسكره متريضا ومنتظرا ليوم الاربعاء . فلما رأى ابن الاشعث أنه لا يتقدم لقتاله ، وأنه متريض ليوم الاربعاء ، بعث رجلا من معسكره ، حتى دنا من معسكر الحجاج ، فنزل قريبا منه ، على مقدار حضر (1) الفرس ، رجا أن يتحرش له أحد من معسكر الحجاج ، فينشب القتال قبل يوم الاربعاء ، فرارا منه ، وتطيرا به . فلما رأى الحجاج ذلك علم ما أرادته والذي توقع ، فتقدم إلى أمراء أجناده وقواده ، وإلى أهل عسكره عامة ، ألا يكلم أحد منهم أحدا من عسكر ابن الاشعث ، ولا يعرضه على نفسه ، وإن أمكنته الفرصة منه إلا يوم الاربعاء ، فلما كانت صبيحة يوم الاربعاء ، وهو يوم يتطير به أهل العراق ، فلا يتناكحون ، ولا يسافرون فيه ، ولا يدخلون من سفر ، ولا _____ (1) حضر الفرس : جريه السريع ، أي على مسافة يقطعها الفرس سريعا بحيث يراه من خلفه . (*)

